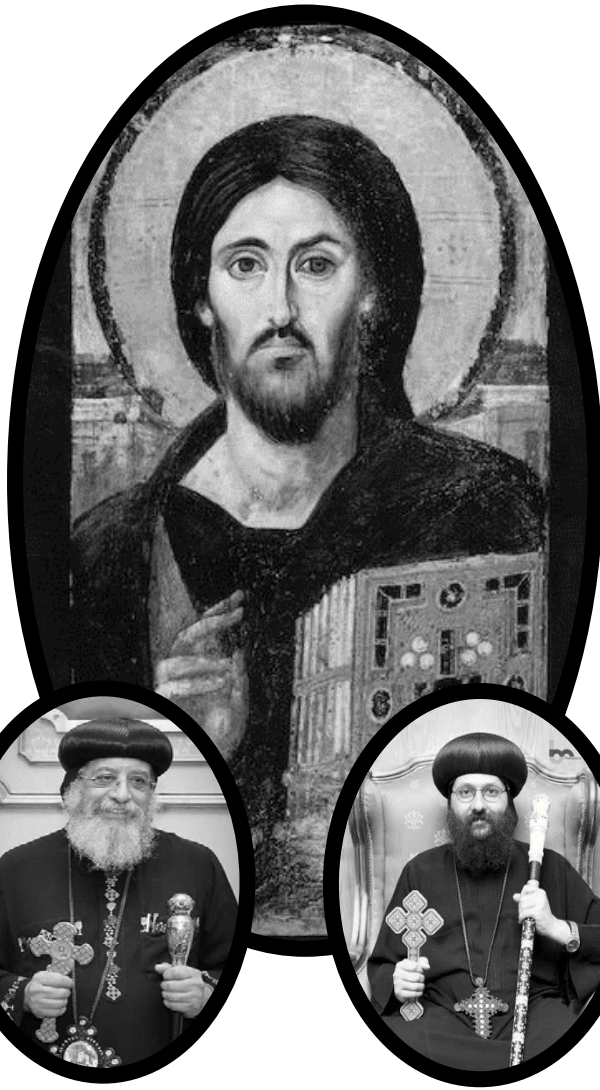

الفهرس

مقدمة ٣

تمهيد وبحث ٤

الآية ومثيلاتها في الكتاب المقدس ٧

كيف فهم اليهود هذه الآية؟ ١٥

شرح آباء الكنيسة حول الآية ٢٦

النصوص المترجمة ٣٧

العلامة أوريجانوس ضد كلسوس ٣٧

العلامة أوريجانوس في تفسير سفر الخروج ٣٨

القديس يوحنا ذهبي الفم ٥١

القديس جيروم ٥٤

القديس أغسطينوس ٥٥

مقدمة

ذكر العهد القديم في أكثر من موضع أن الله سيفتقد ذنوب الآباء في الأبناء. وبمجرد قراءة هذه الكلمات يقف العقل الذي تربى على أبسط مبادئ العدل ويتساءل عن صحة هذا الأمر ومدى عدالته. هل يصح أن نحاسب الإنسان على خطية أسلافه؟ وإذا كان هذا هو الحال في بعض المجتمعات لبعض الموروثات الخاطئة، مثل الثأر (التار) أوBlood Law ، فإننا نجده بدأ ينتهي شيئاً فشيئاً كلما زاد تحضر الإنسان. فالعقل يرفض هذا الفكر بل والكتاب المُقدس نفسه يرفض هذا المفهوم في الكثير من المواضع الأخرى . هكذا جاءت فكرة هذا الكُتيب الذي يشرح مفهوم هذه الآيات العسرة، وكيف نقرأها جنباً إلى جنب مع تلك التي يُمكن بالقراءة السطحية أن نراها لا تتوافق بعضها مع بعض، متكلين في الأساس على فهم آباء الكنيسة وأعمدتها .

الله يجعل هذا الكُتيب سبب بركة بصلوات أبينا صاحب الغبطة البابا الأنبا تواضروس الثاني، وشريكه في الخدمة الرسولية أبينا الأسقف المكرم الأنبا هرمينا.

٧ أبيب ١٧٣٦- ١٤ يوليو ٢٠٢٠

نياحة القديس الأنبا شنودة رئيس المتوحدين

تمهيد وبحث

كلم اللهُ موسى مُعلماً إياه بعض الوصايا والشرائع التي ستحكم العلاقة بين شعب بني إسرائيل والله، وبين أبناء الشعب بعضهم البعض، وبين الشعب والشعوب الأخرى. وواحدة من هذه الوصايا تنص على الآتي: "أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، **لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ، وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ**".(خر ٢٠: ٥)

ولعل جملة "أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ" تكررت في توراة موسى أكثر من مرة كما يلي :

١.أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ، (خر ٢٠: ٥) و (تث ٥: ٩)

٢.مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ (خر ٣٤: ٧)

٣.يَجْعَلُ ذَنْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ إِلَى الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ. (عدد ١٤: ١٨)

وبالطبع فإن القراءة الأولية أو السطحية لهذه الآية يمكن أن تصيب بالذهول، ولا سيما قارئ القرن الواحد والعشرين الذي يقرأ هذا النص المنادي بأن الله يُعاقب الابن بسبب خطية الأب أو الجد، بينما في أغلب دول العالم لا نجد صدى لهذا المفهوم في القوانين المتحضرة. فبعضنا يقبل العكس بسهولة، أي أن خطأ الابن يمكن أن يُعزى إلى فشل الأب واهماله في التربية. وبالرغم من أن قوانين الدول لا تُنفِذ عملياً عقوبة على الأب بسبب جريمة الابن، إلا أن الضمير البشري يُمكن أن يُشير في بعض الأحيان بأصابع الاتهام إلى والد المجرم الذي لم يُحسن تربيته أو أذاه نفسياً في طفولته. ولعل أشهر مثال كتابي على ذلك هو عالي الكاهن الذي لم يُحسِن تربية أولاده فمات ميتة رديئة ونُزِعَ الكهنوت من هذه العائلة (راجع ١صم ٢ و١مل٢: ٢٧).

إلا أننا بكل تأكيد لا نرى في تعاملات الله في الكتاب المُقدس ما يُشير إلى أن الله تذكر إثم شخص في أولاده وأحفاده، إلا إذا اشتركوا هم

أيضاً أنفسهم في نفس الإثم. بل نرى العكس تماماً في مواقف كتابية أخرى مثل :

١.فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لاَ يَقُولُونَ بَعْدُ: الآبَاءُ أَكَلُوا حِصْرِمًا، وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ[١]. بَلْ **كُلُّ وَاحِدٍ يَمُوتُ بِذَنْبِهِ**. كُلُّ إِنْسَانٍ يَأْكُلُ الْحِصْرِمَ تَضْرَسُ أَسْنَانُهُ. (إر ٣١: ٢٩-٣٠)

٢.مَا لَكُمْ أَنْتُمْ تَضْرِبُونَ هذَا الْمَثَلَ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، قَائِلِينَ: الآبَاءُ أَكَلُوا الْحِصْرِمَ وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ؟ حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، لاَ يَكُونُ لَكُمْ مِنْ بَعْدُ أَنْ تَضْرِبُوا هذَا الْمَثَلَ فِي إِسْرَائِيلَ. هَا كُلُّ النُّفُوسِ هِيَ لِي. نَفْسُ الأَبِ كَنَفْسِ الابْنِ، كِلاَهُمَا لِي. **اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ**. (حز ١٨: ٢-٤)

٣.لاَ يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الأَوْلاَدِ، وَلاَ يُقْتَلُ الأَوْلاَدُ عَنِ الآبَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيَّتِهِ يُقْتَلُ. (تث ٢٤: ١٦)

[١] المعنى الحرفي لهذه الآية أن الآباء أكلوا عنباً أخضر مُرّ ولم يستوِ ، ولكن الذين تعبوا هم الأبناء وكلَّت أسنانهم.

وهذه الآيات هي المنطقية والمقبولة للعقل في ظل مفاهيم العدالة السائدة. أما افتقاد الله لذنوب الآباء في الأبناء فهو أمر يحتاج لمزيد من الدراسة. فلأجل فهم أعمق لهذه الآية، جَمَعَ هذا الكُتيب بين دراسة حول الآية، وفِهم اليهود للآية من خلال تقليدهم، وبالطبع فهم الآباء أعمدة الكنيسة لها.

الآية ومثيلاتها في الكتاب المقدس

"ثُمَّ تَكَلَّمَ اللهُ بِجَمِيعِ هذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلًا» :أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ .لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي .لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ .لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ، وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ." (خر ٢٠: ١- ٦)

يوصي اللهُ هنا اليهودي ألا يصنع تمثالاً أو يصوّر صورةً ما ويعبدها أو يسجد لها. ويوضح الأمر أنه إله غيور. ويقول جملتين مترابطتين جداً

لا يجوز الاجتزاء من إحداهما. فيقول إنه يفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من الذين يبغضونه، أما الذين يحبونه فيصنع معهم احساناً إلى آلاف الأجيال. وإن كانت قد غابت كلمة الأجيال في الجملة الثانية، إلا أنه هكذا فهمها اليهود من النسخة العبرية، وهكذا فهمها آباء الكنيسة من الترجمة السبعينية، بل وهكذا موجودة في آية أخرى تقول: " فَاعْلَمْ أَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ هُوَ اللهُ، الإِلهُ الأَمِينُ، الْحَافِظُ الْعَهْدَ وَالإِحْسَانَ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ وَيَحْفَظُونَ وَصَايَاهُ إِلَى أَلْفِ جِيل" (تث ٧: ٩). وهكذا إذا نظرنا للجملتين معاً، فإن النص ينقل لنا -قبل أن نبدأ الخوض في معناه الأعمق وتفسيراته- أحشاء رأفة إلهنا، الذي وإن أغضبه إنسان، فهو يغضب إلى الجيل الرابع، وإن أحبه آخر، فالله يُحسن إليه ولأجياله إلى ألف جيل.[٢]

أظن أن هناك إشارة بالأكثر إلى أن محبة الله ورحمته أكثر بكثير من غضبه وسخطه، كما يقول داود في المزمور: "لأنه للحظة غضبه. حياةٌ في رضاه" (مز ٣٠: ٥)[٣] وتشرحها بالأكثر ترجمة أخرى: "لأن غضبه

[٢] الله لا يغضب ولا يفرح بالمفهوم البشري، ولكنها كلمات تُقربنا من فهم تعاملات الله غير المُدرَك.

[٣] نص المزمور والترقيم من الكتاب المقدس النسخة البيروتية.

طرف عين، وإن رضاه مدى الحياة". فواحدٌ من صفات الله المذكورة في العهد القديم هي "بطيء الغضب"، وهكذا تندرج الآية محل البحث تحت هذا المفهوم. نفس الأمر نجده أيضاً في الطِباق الذي يذكره إشعياء في قوله: "لُحَيْظَةً تَرَكْتُكِ، وَبِمَرَاحِمَ عَظِيمَةٍ سَأَجْمَعُكِ. بِفَيَضَانِ الْغَضَبِ حَجَبْتُ وَجْهِي عَنْكِ لَحْظَةً، وَبِإِحْسَانٍ أَبَدِيٍّ أَرْحَمُكِ، قَالَ وَلِيُّكِ الرَّبُّ." (إش ٥٤: ٧-٨) فإن تخيلنا أن الله قد يترك شعبه، فذلك يكون للحيظة بالمقارنة برحمته التي توسع السماء والأرض. وإن ظننا يوماً أن الله قد سكب علينا فيضان غضبه، فإن ذلك يكون للحظة بالمقارنة بأبدية الإحسان والرحمة التي يسكبها علينا. فهذه الآيات تدل على رحمة الله من خلال جمال تعبيري، أكثر مما تدل على غضبه وسخطه بسبب اجتزاء مُخِل.

فإذا فهمنا حرفياً أن الرب يفتقد ذنوب الآباء في الأبناء إلى الجيل الرابع. هكذا أيضاً يجب أن يُفهم حرفياً أن الله يُعطي إحساناً لألوف الأجيال. وبالرجوع لذكر الأجيال في الكتاب المقدس نجد أن الإنجيلي **متى** يكتب بأنه بين إبراهيم والمسيح هناك اثنان وأربعون جيلاً فقط (راجع متى ١). وبالتقريب هكذا، فإنه لم يمض حتى الآن -طبقاً للفهم الحرفي

لكلمة جيل المذكورة في الكتاب المقدس- ألف جيل من آدم إلى الآن، فكيف يتحقق قوله إذا "وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ". ألسنا جميعنا نسل نوح الذي كان باراً في جيله؟ أليس معظم ساكني الشرق الأوسط أحفاد لإبراهيم؟ فإذا حقق الله وعده حرفياً فإنه يجب أن يصنع إحساناً مع ملايين البشر الذين يُعَدّون ألوف الأجيال الذين ينتسبون لنوح البار فقط! لهذا فإن الفهم الحرفي لهذه الآية يجعلها مسار حيرة أكثر. فهذه الآية إذاً تُشير إلى طول أناة الله على الإنسان، أكثر مما تُشير إلى انتقام الله من أبناء الخاطئ.

ومن الجدير بالذكر أن التقليد اليهودي فهم كلمة "ألوف" في الآية "وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ" بأنها تساوي ألفي جيل.[٤] وهكذا حَسَبوا -حرفيا- نسبة عقاب الله إلى نسبة احسانه لتساوي أربعة (أجيال) إلى ألفين فتساوي الخمس. وكأن الله إذا غضب مرة، فإنه يُحسن خمس مرات.

[4] Tosefta Sotah 4:1

الآية في إطار الأحداث

حسد أولاد يعقوب أخاهم يوسف ورموه في البئر ثم باعوه لقافلة الإسماعيليين ولكن الله صانع الخيرات حوّل مؤامرتهم الشريرة للخير وأنقذ يعقوب إسرائيل وبنيه وسط المجاعة. وهكذا دخل بنو إسرائيل مصر كنتيجة لمؤامرتهم ولكن الله أحياهم وحماهم بحسب وعده لإبراهيم جدهم.

ثم استعبدهم فرعون جديد لم يكن يعرف ما صنعه يوسف لمصر والعالم، فصرخوا لله، وهكذا سمع الله كثير الرأفة صراخهم ونزل لينقذهم بيد موسى العظيم. ولكن حين أرسل موسى لهم، بدأوا يقاومونه منذ ظهوره، فاحتاج إلى المعجزات لكي يقنعهم أن الله أرسله. بالطبع كان طبيعي جداً أن تكون هناك مقاومة من فرعون، ولكن الأمر الغريب هو مقاومة بنو إسرائيل أنفسهم لموسى حتى بعد رؤيتهم لبعض المعجزات التي ثَبَّتَت دعوة موسى أمامهم (راجع خر ٥: ٢١)، لدرجة أنهم دفعوا موسى الحليم لليأس من إرساليته أكثر من مرة.

وهكذا رأى بنو إسرائيل اللهَ وهو يصنع الأعاجيب واحدة تلو الأخرى، فتصيب الضربات المصريين ولا تقترب منهم. وفي آخر ضربة

أعطاهم الله الحرية من مصر، بل وأخذوا معهم ذهب وفضة ومواشي كثيرة تُعوضهم عن سنين العبودية. حوّط الله عليهم في سيرهم بعمود من سحاب نهاراً وعمود من نار ليلاً. وساروا باتجاه البحر ولكن عند ظهور فرعون وجنوده، عاند بنو إسرائيل موسى مجدداً واستهزأوا بخلاص الله لهم متهكمين قائلين: "هَلْ لأَنَّهُ لَيْسَتْ قُبُورٌ فِي مِصْرَ أَخَذْتَنَا لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟" وهكذا حدثت معهم أعظم أعجوبة في تاريخ بني إسرائيل كله وانفتح البحر أمامهم واجتازوه، ورأوا بأعينهم جثث المصريين فهللوا وسبحوا وفرحوا.

لم يمض شهرين حتى تذّمر الشعب على الله وعلى موسى بسبب الطعام، ولكن الله طويل الأناة أعطاهم المَنّ خبز السماء ليأكلوا. وبالرغم من أن الله أعطاهم الأكل بمعجزة، إلا أنهم لم يصدقوا أن الله سيعطيهم كل يوم، وبالرغم من تحذيرات الله أن ما سيتبقى من هذا الطعام سيفسد، إلا أنهم عاندوا أيضاً وأبقوا فائض في بيوتهم خوفاً من أن الله يكسر وعده لهم. وكذلك بخصوص وعد الله لهم في طعام اليوم السادس، فلقد قال لهم موسى أن يجمعوا ما يكفي يومين ولا يخافوا لأنه لن يفسد ولكن يبقوه لليوم السابع لأنه لن ينزل لهم فيه طعام.

هكذا أيضاً عاند البعض وخرجوا ليجمعوا في اليوم السابع ولم يجدوا. وهكذا عاند بنو إسرائيل الله في كل أمر، حتى في الطعام والشراب، ولكن الله المُربي كان يعتني بهم حتى بأبسط الأمور، حتى بأحذية أقدامهم. وهكذا قد وصلنا في قصة بني إسرائيل للإصحاح العشرين من سفر الخروج، حيث تكلم الله مع موسى لكي يعطيه الشريعة التي سيتبعها هذا الشعب.

كان هناك حاجة لذكر كل ما سبق، لكي نضع ترتيباً للأحداث قبل أن نذكر الآية، فتأخذ مكانها في الكتاب المقدس. فمن الواضح جداً أن هذا الشعب كان غليظ الرقبة، عنيد ومتذمر إلى أقصى درجة، ويتضح أيضاً جلياً أمامنا طول أناة الله ومحبته وصبره على أولاده إلى أقصى درجة. ولكي يحميهم الله ويحوط عليهم ويبقيهم في معرفته لكي يحيوا حياة مُفرحة، أراد الله تحذيرهم. فلقد أدخلت راحيل قديماً الأصنام إلى بيت يعقوب، وكذلك رأى أولاد يعقوب المصريين يتعبدون للتماثيل. ولذلك كان إليهم تحذير الله من أن يقعوا في نفس الفخ وأن يسجدوا لصنعة أيديهم، فأوصاهم: "لا تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالًا مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ

تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ .لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ، أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ، وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ."

ولا يخفى علينا أن بنى إسرائيل سقطوا في هذه الخطية -خطية السجود للأصنام- بينما كان الله يتكلم مع موسى، وعبدوا العجل وأنكروا إلههم الذي خلصهم. فبينما كان هناك حوار بين الله ونبيه، كان الشعب يسجد لعِجل أسفل الجبل ويمجده بقوله: "هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ." (خر ٣٢: ٤) وبقية أسفار العهد القديم تشهد على استمرار هذه الخطية البغيضة حتى سبي بابل. فالأب الذي يُدخل هذه العبادة في بيته، والأم التي تسجد لتمثال، إنما تُربي جيلاً لا يعرف الله ولا يحبه، بل وينسب لهذا التمثال كل الفضل في حياته. أما الله، فقد كان يريد أن يربي له ابن (راجع خر٤: ٢٢) يحفظ كلمته في الأرض، حتى يأتي الكلمة بنفسه من نسله. ولكن إسرائيل الابن فَشَل في أن يحافظ على كلام الله بالتمام جيلاً واحداً.

كيف فهم اليهود هذه الآية؟

من الجيد معرفة كيف فهم اليهود هذه الآية، وكيف فسروها، مما في ذلك من انعكاس لثقافة اليهودي فيما يخص وراثة الابن ذنب أبيه. لذلك سأسرد كيف فهم معلمي اليهود هذه الآية من خلال أربع مواضع في الأدب اليهودي.

١. الرابي يهوذا ابن ايلاي Judah bar Ilai (حوالي القرن الثاني الميلادي) والرابي شيمون بن يوخاي Shimon bar Youchai (حوالي القرن الثالث الميلادي) يقترحان ترجمة أخرى للآية. فاللفظ العبري المُترجَم "أفتقد" يمكن أن يعني "أتذكر" أو "أحتفظ بـ".[٥] وهكذا تعني الآية أن الله لا يُعاقب مباشرةً على الخطأ، بل يحتفظ به وينتظر، هل سيستمر الخطأ للجيل الثاني؟ وإذا استمر فإن الله يصبر أيضاً إلى الجيل الثالث وهكذا للجيل الرابع الذي يصل إلى نهاية صبر الله، فيعاقب الجيل **الخامس** إذا اتبع خطايا

---

[٥] اللفظ العبري פָּקַד والمُترجَم "مُفتقد" له الكثير من المعاني والدلالات. فحتى كلمة "مُفتقد" يمكن أن تعني أنه سيأتي بالعقاب، وأيضاً يمكن أن يفتقد بالنِعَم (راجع تك ٢١: ١ و خر ٣: ١-٦)، كذلك فإن اللفظ له معاني كثيرة أخرى مثل أن يَعِدّ، مثلما عدّ موسى الشعب (عدد ٣: ١٥)، أو أن يوصي الله شخصاً (٢ أخ ٣٦: ٢٣).

أجداده. ويستشهد الرابي يهوذا بقصة ياهو بن نمشي الذي وعده الرب بجلوسه هو ونسله على كرسي مملكة إسرائيل للجيل الرابع. ولأنهم عبدوا العجل، فإن الله احتفظ بالعقاب ولم ينزل به على نسل ياهو لأربعة أجيال ثم عاقبهم الله في الجيل الخامس وأزال عنهم كرسي المملكة. (راجع ٢ مل: ١٠) و (٢ أخ ١٥).

٢. التقليد اليهودي يشرح الآية في الجمارا[٦] في هيئة حوار مجهول الطرفين سنشير إليهما بـ "ا" و"ب" كما يلي:[٧]

أ: ألا يُمات الأبناء بسبب خطية آبائهم؟ أوليس مكتوب: "مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ" (خر ٣٤: ٧)؟

ب: هذه الآية تشير إلى موقفٍ يتبنى فيه الأبناء تصرفات أجدادهم. فلو لم يسلكوا مثل أجدادهم، فلن يُعاقبوا على خطايا أجدادهم. وهذا كما يُقال في موضع آخر (في التقليد اليهودي) بخصوص الآية:

---

[٦] شروحات للقوانين اليهودية

[7] Free translation: Talmud, b, Nezikin, Senhedrin 27b.

"وَأَيْضًا بِذُنُوبِ آبَائِهِمْ مَعَهُمْ يَفْنَوْنَ." (لا ٢٩: ٣٩) فإنه يشير إلى الموقف الذي يتبنى فيه الأبناء أفعال (خطايا) أجدادهم.

أ: هل تقول بأن هذه الآيات تُشير بالتحديد إلى الموقف حيث يتبني الأبناء سلوكيات أجدادهم، أم يمكن أن تُطبق (الآيات) حتى لو لم يتبنون سلوكيات أجدادهم؟

ب: حينما تُصرّح الآية: "كُلُّ وَاحِدٍ يَمُوتُ بِذَنْبِهِ" (إر ٣١: ٣٠)، فإن التوراة تشرح أن الواحد لا يموت لو لم يخطئ. وهكذا فإن الآية: "وَأَيْضًا بِذُنُوبِ آبَائِهِمْ مَعَهُمْ يَفْنَوْنَ." (لا ٢٩: ٣٩) تُشير إلى الموقف حيث يتبنى الأبناء أفعال (خطايا) أجدادهم.

أ: ولكن هل الخَلَف لا يُعاقب بسبب خطايا السلف إلا لو تبنوا سلوكياتهم؟ أوليس مكتوب "وَيَعْثُرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ" (لا ٢٦: ٣٧)؟

ب: هذه الآية تُفهم بشكل تعليمي بحيث تشير إلى أن الشعب اليهودي سيعثر، الواحد بسبب خطية الآخر؛ وكأننا نقول إن البعض سيُعاقب على خطية الآخر. وهكذا نتعلم بأن كل اليهود

يُعتبروا ضامنين بعضهم بعضاً، أو كما يمكن أن نقول، مسئولين عن بعضهم البعض.

انتهى الحوار بين الإثنين، ومنه نقدر أن نفهم أن الله لا يجازي ابناً بسبب خطية أبيه إلا لو استمر على نفس الخطية.

٣. في التطبيق العملي للقوانين اليهودية نجد أن المُعلمين كانوا لا يفرضون عقاباً على مجرم، قد يشترك الأبناء في تنفيذه دون أن يكونوا قد اشتركوا بالفعل في الجريمة. ففي قضايا الشهادة الزور مثلاً، نجد أن العهد القديم يورد حكماً على الشاهد الزور: "فَافْعَلُوا بِهِ كَمَا نَوَى أَنْ يَفْعَلَ بِأَخِيهِ. فَتَنْزِعُونَ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكُمْ." (تث ١٩: ١٩) بمعنى أنه لو شهد "أ" على "ب" بأنه قاتل عمد ويستوجب الموت، وأثبتت التحقيقات أن "ا" شاهد زور، يجب أن يُطبق عليه الحُكم الذي كان سيُطبق على "ب"، ويصبح "أ" مستوجب الموت. ولكننا نجد أن القوانين اليهودية لم تنفذ هذا الأمر دائماً. فإذا كان تنفيذ هذه العقوبة سيشمل تنفيذ عقوبة لأبناء الشاهد الزور، كان يُوضع استثناء للقانون الكتابي. المثال التالي يوضح واحدة من تلك الاستثناءات.

شَهدَ سمعان الكاهن وصديقٌ له[٨] أن يوحنا الكاهن لا يصح أن يكون كاهن شرعي، لأن والدته كانت قد تزوجت مرة وطُلِقَت ثم تزوجت والد يوحنا. والشريعة الكتابية تحكم بأن يوحنا يتجرد من الكهنوت، لأن ابن الزواج الثاني لا يصلح للعمل الكهنوتي[٩]. وأثبتت التحقيقات أن سمعان وصديقه قد شهدا زوراً. وطبقاً للشريعة الكتابية، فإن القضاة يجب أن يحكموا على سمعان بالتجرد من الكهنوت كما كان سيُحكَم على يوحنا. ولكننا نجد أن التقليد اليهودي[١٠] لا يحكم بذلك، بل يحكم على سمعان بأربعين جلدة فقط، لماذا؟ يشرح الرابي يشوع ابن لاوي Rabbi Joshua ben Levi السبب ويقول بأن النص الكتابي يقول: " فَافْعَلُوا **بِهِ** كَمَا نَوَى أَنْ يَفْعَلَ بِأَخِيهِ" وكلمة **"به"** في الآية تعني الشخص نفسه وليس أولاده أيضاً. وإذا تجرّد سمعان من الكهنوت، سيتجرد بالتالي كل نسله من الكهنوت لأن الكهنوت مُورَّث في إسرائيل.

---

[٨] كان يلزم وجود شاهدين حتى تُقام القضية. (راجع تث ١٩: ١٥)

[٩] راجع لا ٢١: ٧

[10] Talmud, b, Nezikin, Makkot, XVIII

فهذا العقاب يقع على سمعان وأولاده وهكذا فإن هذا العقاب مرفوض، ويُجلَد سمعان بدلاً من التجريد.

٤. وباختصار فإن رأي راشي[١١]، أحد أهم شخصيات التقليد اليهودي، هو كالآتي:

[وكما يضيف الترجوم[١٢] لهذه الآية: عندما يستمر الابن على خطية أبيه، أو كما يمكن أن نقول، عندما يتشبث الابن بأفعال أبيه]

ونورد الترجمة الحرفية لما ذُكِر في الترجوم:

"لأني أنا الله إلهك، إله غيور ومُنتَقم، أعاقب بنقمةٍ، أُسَجل (أُدوّن) ذنب الآباء **الأشرار** على الأبناء **المتمردين**، للجيل الثالث والرابع من الذين يبغضونني"

[١١] راشي هو الرابي (المعلم) شلومو يتذاكي من أهم مفسري القوانين اليهودية المتوارثة. عاش في القرن الحادي عشر وشرحه مطبوع تقريباً في كل كتب التلمود (التقليد اليهودي).

[١٢] ترجمة آرامية حُرة للعهد القديم.

وجدير بالذكر أنه في الأدب اليهودي هناك حواراً خيالياً دار بين الله وموسى، كالتالي: [١٣]

الله: (إني) أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ. (تث ٥: ٩)

موسى: يا سيد الكون، كم من أُناس أشرار أنجبوا أناس صالحين؟ فهل يُعاقَب هؤلاء بسبب خطايا آبائهم؟ فلقد عبد تارح الأصنام، وكان ابنه ابراهيم باراً. وكذلك حزقيا كان باراً، وأبوه آحاز كان شريراً. وهكذا أيضاً يوشيا كان باراً، ولكن أباه آمون كان رجلاً شريراً. فهل من اللائق أن يُجلَد هؤلاء الأبرار بسبب خطايا آبائهم؟

الله: لقد علمتني أمراً. وحياتك سأبطل حُكمي، وسأقيم كلمتك وستقول: لاَ يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الأَوْلاَدِ، وَلاَ يُقْتَلُ الأَوْلاَدُ عَنِ الآبَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيَّتِهِ يُقْتَلُ (تث ٢٤: ١٦). وحياتك،

[13]Tanḥuma Yelammedenu, Numbers Rabbah II 19:33 according to Manuscript Paris 150.

سأكتب هذه بإسمك، كما يقول (الكتاب): حسب ما هو مكتوب في سفر **شريعة موسى** حيث امر الرب قائلا لا يُقتل الاباء من اجل البنين والبنون لا يقتلون من اجل الاباء إنما كل انسان يقتل بخطيته (٢ ملوك ١٤: ٦).

وبالطبع لا نستطيع أن نوافق على هذا النص أو نُدرجه كفهم اليهود الرسمي للنص. وواضح جداً أن كاتبه كان يريد أن يضع حكمة على فم موسى ولكن الحبكة الدرامية للحوار تاهت عن المسار الطبيعي. فبالطبع أي دارس بسيط للكتاب المُقدس يعرف أن حزقيا وآحاز ويوشيا وآمون جاءوا بعد موسى بسنين طويلة، فكيف يذكرهم موسى في الحوار؟ يجوز أن الكاتب أراد أن يكرر موقف شفاعة موسى أمام الله عن شعب إسرائيل (راجع خروج ٣٢)، وذلك لأن موسى يُعتبر أعظم الأنبياء ورئيسهم.

ولقد ذكرنا هذا النص فقط من أجل أن تكتمل الصورة عندما نقرأ تعليق القديس كيرلس الكبير الذي هاجم هذه الفكرة جداً. ليس لدي حالياً ما يُثبت أن القديس كيرلس قد اطلع على الفكرة السابقة، ولكن رده التالي يوحي بذلك بشدة.

يقول القديس كيرلس:

[ولكنى أظن أنه ليس هناك أحد تصل به الغباوة لدرجة أنه يفكر أن الله لم يشرّع في البداية بالطريقة الأحسن، ولكنه فيما بعد غيّر خططه وحوّل أفكاره إلى ما أحسن. وكأنه مثل واحد منا ـ بصعوبة وبعد تفكير عميق أمكنه أن يحسن تشريعه إلى ما هو مناسب أكثر. وفي مثل هذه الحالة فإننا إن مدحنا الشرائع السابقة فإننا بذلك نوجه اللوم للشرائع اللاحقة، وإن عبّرنا عن رأى بأن الشرائع اللاحقة أكثر تفوقًا فإننا بذلك سوف نقلل من قيمة الشرائع السابقة. وفي هذه الحالة سيكون الله متناقضًا مع نفسه ويكون قد عجز عن الوصول إلى المستوى الكامل كما يحدث معنا نحن، وذلك بأن يشرّع بشيء في وقت معين وبشيء مختلف في وقت آخر. ولكنى أظن أن كل واحد سيقول إن الطبيعة الإلهية لا يمكن أن تكون معرّضة لمثل هذه التناقضات في أي أمر، ولا يمكن أن تَنقص عن كمالها المُطلق.]

وهكذا فإن التقليد اليهودي في أكثر من موضع رفض الفهم السطحي بأن الله سيعاقب الأبناء بسبب خطية آبائهم. ولكن في الحقيقة نجد بعض الكلمات الوعظية أو التحذيرية التي استخدمها بعض الشُرّاح في

التقليد اليهودي لكي يخيفوا الآباء من أن يخطئوا وإلا سيقع عليهم وعلى أولادهم العقاب. وأظن أن هذه العظات كان لها تأثير واسع في الشعب اليهودي وإلا فلماذا سأل التلاميذ سؤالاً بكل تلقائية حينما رأوا المولود أعمى وقالوا: "يَا مُعَلِّمُ، مَنْ أَخْطَأَ: هذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟" (يو ٩: ٢)

فالجزء الأول من الاستفهام يُمكن أن يُفهم بسهولة بحسب شريعة العهد القديم، حيث كان الله يبارك الإنسان بالصحة والعمر الطويل والبنين وببركات حسية، والعكس أيضاً، فإن الغضب المُعلَن في نصوص كثيرة يظهر في صورة بَرَص وسبيّ وموت. فسؤال التلاميذ بخصوص إذا كان هذا الإنسان أخطأ ليكون أعمى، سؤال طبيعي من حيث ما تعلموه عن بركات الله الحسية، إلا أن هذا السؤال -كما وضّح القديس ذهبي الفم- غير منطقي، لأنه كيف يُمكن أن يخطئ هذا الإنسان قبل أن يولد حتى يُعاقب بسبب خطيته بولادته أعمى؟

المشكلة الأكبر والتي نبحث عن إجابتها هنا بحسب توجه هذا الكتيب هي تأصل فكرة إمكانية إصابة الإنسان بمرض نتيجة خطية الوالدين. يمكن أن يكمن الجواب في أن التقليد اليهودي المكتوب متأخر عن

زمن المسيح، وبذلك حدث تطور في المفاهيم. أو يجوز أن العظات التحذيرية والكلمات المخيفة هي التي استوغلت في الادراك الشعبي بعيداً عن التفاسير الخاصة بالنصوص.

وقد أضاف القديس يوحنا ذهبي الفم سبباً آخر وراء سؤال التلاميذ، وهو أنهم سألوا هذا السؤال، ليس بحثاً عن إجابة بقدر ما أنهم قد **أصابهم الارتباك.** فإنهم قد رأوا المسيح يحث المخلع (يو ٥) على التوبة قائلاً: "لا تُخطئ أيضاً لئلا يكون لك أشر". فيتساءل القديس يوحنا ذهبي الفم ويشرح أنه إذا كان مرض المخلع بسبب خطيته، فماذا يقدر المسيح أن يقول هنا؟ فهو مريض منذ لحظة ميلاده. إلا إذا كان هذا المرض بسبب خطية أبويه!

شرح آباء الكنيسة حول الآية [١٤]

رفض آباء الكنيسة الجامعة قاطبةً -باستثناء القديس أغسطينوس- المعنى السطحي لهذه الآية؛ بأن الله ينتقم فعلاً من خطايا الآباء في الأبناء. وهذا الاستثناء طبيعي لمن درس فكر القديس أغسطينوس بخصوص التوارث البيولوجي للخطية، وخلطه بين فلسفة **ماني** الغنوصي والفكر المسيحي في هذا الأمر. لهذا لا تعتد الكنيسة الأرثوذكسية برأيه في شرح هذه الآية أو أي أمر يخص وراثة الذنب. وفيما يلي مختصر لشروحات الآباء.

(‡) لاحظ الفيلسوف **كلسوس** أن المسيحيين يُضطهدون في كل العالم، فكان يلعنهم ويشتم مسيحهم بوصفه أنه شيطان ينتقم من أتباعه، بالرغم من عدم اعتراف **كلسوس** بوجود الشياطين أصلاً. وهكذا فإن كلسوس نادى بأن **كل** المسيحيين يُعاقبون وإلههم لا يدافع عنهم. فكان رد **أوريجانوس** بأنه ليس هناك ما يُسمى بالعقاب

---

[١٤] في شرح الجزء التالي سيتم التفرقة بين الترجمات العربية التي تمت بواسطة مراكز آخرى عن طريق العلامة (†) في أول السطر، وسيتم اقتباس جزء صغير منها للشرح مع الإشارة للمرجع. أما ما تم ترجمته عن طريق الكاتب فسيبدأ بالعلامة (‡).

لكل أجيال المسيحيين، بل إن الفلاسفة اليونانيين وكهنة الأصنام هم من نادوا بأن عقاب الآلهة يمتد إلى أجيال كثيرة. ولكن المسيحيين لا يؤمنون بهذا، بل طرح له بعض الآياتٍ التي تثبت أن كل إنسان مسئول عن نفسه، الابن لا يُعاقب بسبب خطية أبيه، وكذلك الأب لا يُعاقب بسبب خطية ابنه. ولكن بخصوص الآية محل البحث، فيلمح العلامة **أوريجانوس** أن لها تفسير غير حرفي، ولكنه لم يذكره في نفس الكتاب، ولكنه ذكره في تفسيره لسفر الخروج. وفي شرحه للآية محل البحث، نجد أن **أوريجانوس** قد غرّد بعيداً عن السرب ورفع المفهوم إلى مستوى سامي من الروحيات. فهو يرى أن هذه الآية لا تخاطب الإنسان الخارجي كقانون يُنفَذ، بل هي تخاطب الإنسان الداخلي كقانون روحي للحياة.

فالعلامة **أوريجانوس** يرى في هذه الآية مفهوماً رفيعاً عن طول أناة الله وصبره وتأديبه لأولاده. فالجيل الأول الذي اخترع الخطية هو الشيطان، ولقد أرجأ الله محاكمته النهائية لليوم الأخير. وأما أبناء الشيطان، الذين يصنعون الإثم، فإنهم يُشركون دائماً معهم أناس آخرون في الخطية فيُولَدون للشيطان، وهكذا فهناك أجيال تُوْلَد بالخطية للشيطان. ولكن الله من رحمته بأولاده، فإنه يؤدب أولئك

الذين يخطئون لكيلا يتركهم لدينونة اليوم الأخير مع الشيطان، وإلا سيذهبون للنار الأبدية المُعدة لإبليس وجنوده. فافتقاد الله لذنوب الآباء (الشياطين) في الأبناء (الخطاة) هو دليل على رحمة الله بامتياز.

القديســـان البطريركان كيرلس الكبير ويوحنا ذهبي الفم يذكران هذه الآية في شرحهما لحادثة شفاء المولود أعمى.

(†) نبدأ بعمود الأرثوذكسية القديس **كيرلس** الكبير الذي كتب دفاعاً قوياً أمام الجهلاء -بحسب تعبيره- الذين يُمكن أن يتخيلوا أن الله يُعاقب إنسان على خطية أبيه. وهذا الدفاع مذكور في تفسيره لإنجيل **يوحنا** الإصحاح التاسع حيث أخذ يشرح ويُسهب في تفسير الآية الثانية. ولطول شرحه سأذكر بعض المقاطع منه لإستيفاء شرح الآية، إلا أن الرجوع للنص الكامل يقيم بنياناً راسخاً للإيمان السليم.[١٥]

يقول القديس **كيرلس** الكبير:

[أظن أنهم يستغرقون في جهلهم الخاص بهذا الأمر بافتراضهم أن خطايا الآباء تأتى حقًا على الأبناء، وأن الغضب الإلهي يمتد حتى يمكن أن يصل إلى الجيل الثالث والرابع، ليعاقب الأبرياء بعقوبات جرائم

[١٥] جميع اقتباسات القديس كيرلس في هذا الموضوع مأخوذة من تفسير *إنجيل يوحنا*، ترجمة المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية.

الآخرين. فلو كانوا حكماء، ألا يكون لائقًا بهم بالأحرى أن يعتنقوا الرأي الذي يقول: إن الله الذي هو مصدر البر ومصدر قوانيننا الأخلاقية لا يمكن أن يفعل شيئًا مخجلاً كهذا؛ لأنه، حتى الناس يعاقبون العصاة بحسب القوانين ولكنهم لا يوقّعون هذه العقوبات على أولادهم إلاّ إن كان هؤلاء الأولاد مشتركين مع آبائهم في الأفعال الشريرة.]

ويقول أيضاً:

[فهو (الله) لا يريد أن يُعرَف بأنه يفكر بالشر وأنه يمد غضبه حتى يشمل الجيل الرابع. لأنه كيف يكون هو طويل الأناة وكثير الرحمة، أو كيف يغفر المعاصي والخطايا إن كان لا يستطيع أن يجعل العقوبة محصورة فقط في الشخص الذي أخطأ بل يمدها إلى ما بعد الجيل الثالث، فيكون بذلك كنوع من الرعد الذي يصعق حتى البريء. إذن، فإنه مما لا يُصدق بالمرة ومن الحماقة التامة أن نفترض أن الله، مع محبته للبشر ولطفه، يخص نفسه بالغضب المستمر وغير المعقول.]

ويشرح الآية محل البحث ويقول:

[(سنفترض) أن هناك إنسانًا متعديًا على الناموس وذهنه مملوء بكل شر، ولو أنه عومل بحسب أسلوب حياته هذا لاستحق أن يُعاقب

بدون إمهال، ومع ذلك فإن الله في احتماله عامله بصبر ولم يأتِ عليه بالغضب الذي كان يستحقه. ثم وُلِدَ لهذا الإنسان ابن يزيد عن أبيه في أعماله الشريرة ويفوق أباه في الشر، وأيضًا فإن الله أظهر طول أناة نحو هذا الإنسان. ولكن ولد له ابن ثالث ومن الثالث رابع ليس أقل من سابقيه في الشر، بل يعمل أعمالاً شريرة مساوية لهم. حينئذٍ يسكب الله عليهم الغضب، الذي كان يستحقه الجنس كله منذ البداية، بعد أن كان قد احتملهم كثيرًا، وحتى أكثر مما يجب. فتأجيل الانتقام حتى الجيل الرابع، كيف لا يكون بحق هو نوع من اللطف الإلهي؟][16]

[16] وجب التنبيه أنه حين يتكلم الكتاب المُقدس والآباء عمّا يُسمى بغضب الله، فإنهم لا يقصدون نفس الغضب البشري. فيقول نفس القديس كيرلس في نفس الكتاب: [الله لا يمكن أن يكون ميالاً بأية نزعات غير عاقلة إلى أولئك الذين يرفضون محبته لأن هذه الميول غير العاقلة إنما تليق بالبشر فقط] (ص٢١). ويقول أيضاً: [العِلة والسبب الحقيقي الذي جعل الكتاب المقدس يحدثنا عن الله بأقوال تخص الأعضاء الجسدية، هو ضعف عقلنا ولغتنا. بدون شك الأمور المتعلقة بالله هي ابعد من أن توصف. وبالتأكيد لا يمكننا أن ندرك الأمور الهامة عن الله، نحن الذين نحيا في اجساد مادية وسميكة، إلَّا فقط إذا قبلنا أمثلة ونماذج تتناسب مع نوعية طبيعتنا. بمثل هذه الطريقة فقط، يكون لدينا المقدرة أن نرتفع نحو مفاهيم سامية عن الله.] (ضد الذين يتصورون لله هيئة بشرية، ف.١)

وباختصار فإن رأي القديس **كيرلس** في هذه الآية هو:

[فإن الله يذكر الكلمات المقتبسة أعلاه: "مفتقداً إثم الآباء في الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع" كدليل على جوده الذي لا يُقارن.]

(‡) أما القديس يوحنا ذهبي الفم، فيرى في هذه الآية كلام موجه بشكل خاص لأولئك الذين خرجوا من مصر ورأوا كل المعجزات التي صنعها معهم الله ولكنهم رجعوا لخطايا آبائهم، ولذلك سيأتي عليهم نفس عقاب آبائهم. وهكذا فإن الآية تمر عند القديس يوحنا ذهبي الفم بعدة شروط لكي تُفهم بشكلها الصحيح؛ أولاً أن الأبناء سقطوا في نفس خطايا آبائهم، ثانياً هؤلاء الأبناء تمادوا في الخطايا بالرغم من رؤيتهم لمعجزات وآيات لم يراها آبائهم. وبذلك يضيف القديس يوحنا ذهبي الفم أن هذه الآية ليست القاعدة العامة Universal Rule بل خاصة بأولئك الذين خرجوا من مصر.

(‡) أحد الكتابات التي نُسبت قديماً إلى القديس أمبروسيوس[١٧] والتي كُتبت في غضون القرن الرابع وكانت واسعة الانتشار في الغرب اللاتيني تُشير وبقوة إلى نفس الفهم اليهودي للآية، فيقول الكاتب:

[لماذا إذاً وَعَدَ الله، المُلَقَب بالعادل، أنه سيلوم الأبناء على خطايا الآباء للجيل الثالث والرابع؟ إنه من الجنون أن يشك أحد في أن الله يصنع أو يقول أمراً غيرا عادل، ولهذا...ما نظنه بأنه غير عادل، هو بالحقيقة حق... الله بالفعل سيلوم الأبناء على خطية آبائهم، ولكن هؤلاء الذين يبغضونه، الذين سيخدمون الأصنام، الذين سيبقون في شر آبائهم، ويفعلون مثلما فعل آبائهم.]

(†) **مار يعقوب السروجي** القديس اللاهوتي والشاعر الرقيق يرى في هذه الآية -مثله مثل العلامة أوريجانوس- تهديد يدفع للتوبة فقط وليس للانتقام، وذلك لأن بني إسرائيل كانوا يعاندون الله كثيراً في طريق خروجهم من أرض مصر، لذلك كلمهم الله بما يفهمونه، فكلام

---

[١٧] بداية من القرن السادس عشر أُطلق على مؤلف هذه الكتابات Ambrosiaster والتي تعني باللاتينية Would-be Ambrose أو المُنتَسَبة لأمبروسيوس. وأمبروسيوس كان أسقف ميلان، ذائع الصيت ومُعلم لاهوتي قدير في القرن الرابع، وقد تاب القديس أغسطينوس على يديه.

الكتاب المقدس عن الغضب والتهديد والإبادة ما هو إلا تشجيع لترك الشرور والاحتماء في ضابط الكل، ولذلك لا ييأس الخاطئ عند قراءته هذا الكلام، بل يتقدم واثق من مراحم الله. فيقول **مار يعقوب السروجي**:

[يقول الله: "بعد أربعين يوماً تُقلب نينوى". وهذا **التهديد يدعو إلى التوبة** وليس **قصاصاً** ليستأصل المدينة. هدَّدَ ناثانُ داود لما مُسك في الخطيئة مع عائلة اوريا. تدخلت التوبة وأبطلت التهديد وتبدلت العبارة لتقول: "إن الرب أيضاً أجاز ذنبك". ويقول أيضاً: "أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ" ليُبَطّل العبرانيون من أجل "مراحم البنين" عن عمل الشرور. وبما أنهم لم يريدوا أن تكثر الخصومات، عَكَسَ عبارته وقال: "نفس الآب هي ملكي ونفس الابن هي ملكي ولتمت نفس الخاطئ"[١٨] لأن العدالة تريد هكذا... أراد الله أن يعلم البشر أنهم متى سمعوا أنه غاضب ومُهدِد ومغتاظ ويتوعد بالهدم والابادة لا يحسبونه قاسياً أو لا يمكن التوسل إليه حتى يتململوا ويكفّوا بسبب ألفاظ التهديد وينصرفوا عن التوبة، لكن ليتركوا شرهم

[١٨] حز ١٨: ٤

ويجعلوا أعمالهم حسنة وهم واثقون من أن المراحم موجودة في دينونتهم، ويستطيع التضرع أن يحل ويغير كلمات التهديد. وعندما يسمعون أنه يعد الخيرات لا يحتقرون محبته ويحسبونه راخياً (فاتراً أو بارداً) بلا غيرة ويسمحوا لأنفسهم فعل الشرور.][19]

(‡) القديس جيروم بعث بخطاب للشماس سابينيانوس Sabinianus الذي كان قد سقط في بعض الخطايا، مشجعاً وداعياً إياه للتوبة. وقد رأى القديس جيروم في هذه الآية -مثله مثل معظم المفسرين- أن الله يوصِف صبره ولطفه وطول أناته بأنه يمتد لأجيال ولا يُعاقِب على الخطية فوراً، بل يصبر عليها كثيراً، وإلا لرفض الله توبة الكثيرين من القديسين، الذين لم يصبحوا بارين إلا من خلال التوبة وبسبب طول أناة الله ولطفه.

(‡) بالرغم من أن القديس أغسطينوس لديه بعض التأملات الرائعة، وبالرغم من أن قصة توبته كانت ملهمة لكثيرين عبر التاريخ، إلا أن الكنيسة الأرثوذكسية لا ترى الكمال في بعض شروحاته. فهو يُطبق

[19] رسائل مار يعقوب السروجي الملفان، *رسالة الرها "مدينة مباركة" حظيت بموعد المسيح*. دائرة المعارف السريانية

قصة توبته الشخصية وكأنها هي طريقة التعامل الوحيدة لله مع الإنسان، لذلك يضع بعض التعاليم المنتقصة في دور النعمة ودور الإنسان في الخلاص. كذلك يرى بعض الباحثين تأثره بفلسفة **ماني**[٢٠] الذي سار على تعاليمه فترة. ومن هذه التعاليم أن المادة شر والجسد شر. وهكذا ظن أغسطينوس أن مجرد تواجد الإنسان في الجسد فهو ذنب وخطية، ليس بسبب خطية آدم الموروثة لكل البشر فقط، بل بسبب خطايا الأب والأم ويجوز أيضاً بسبب خطايا الجد والجدة. فالآية بالنسبة لأغسطينوس أخذت منحنى حرفي غريب حتى وقع هو نفسه في مأزق لم يستطع الخروج منه. فيقول إنه إذا كنا نرث خطية آبائنا، فماذا عن أجدادنا الذين قبلهم؟ بهذا سيكون كل من جاء متأخراً في التاريخ ملعوناً أكثر! أم أن الله الرحيم -حسب وجهة نظر القديس أغسطينوس – سيكتفي بميراث أربعة أجيال فقط من

---

[٢٠] كان **ماني** ينادي بوجود صراع أبدي بين الخير والشر وبالتالي بين إله الخير وإله الشر، وهكذا فإن الجسد شر ويميل لطاعة إله الشر. وقد قال **ماني** عن نفسه أنه رسول يسوع المسيح وأنه هو الباراقليط الذي أتي من بعد صعود المسيح. كذلك يؤمن ماني أن يسوع المسيح هو إنسان قد استنار، وأن ماني حدث له نفس الاستنارة، كما أنه اعتبر نفسه خاتم الأنبياء. درس ماني تعاليم المسيح والعهد القديم، وتعاليم بوذا وزرادشت. وقد كانت فلسفته عبارة عن خليطاً من هذه المعتقدات.

الخطايا لئلا نحمل لعنة أكثر من اللزوم؟ ينتهي تعليق القديس أغسطينوس بأنه لا يعلم!

وهكذا، ففي هذه الآية نرى القديسون كيرلس الكبير وجيروم وماريعقوب السروجي وما نُسب للقديس أمبروسيوس يجدون تعبيراً وإيحاءً على طول أناة الله. أما القديس يوحنا ذهبي الفم فيرى فيها أمراً خاصاً جداً في الظرف التي قيلت فيه. وأيضاً أجمع هؤلاء مع أوريجانوس أن لفظ غضب الله تشير إلى اهتمام الله وإرادته أن يفرح الإنسان بالحياة معه، ولكن الغضب الحقيقي لله يظهر من خلال الابتعاد وعدم التوبيخ أو التأديب.

أخيراً نقف أمام أوريجانوس وأغسطينوس، فلقد طار بنا الأول محلقاً في سر من أسرار الحياة الروحية، أما الأخير فسقط في حفرة لم يستطع أن يقوم هو منها.

كيف يشرح آباء الكنيسة آية:

" أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي فِي الْجِيلِ الأَبْنَاءِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ" (خروج ٢٠: ٥)

النصوص المترجمة

العلامة أوريجانوس ضد كلسوس [٢١]

ولكن دعنا نرى، فعلى صعيدٍ آخر، ما الجواب الذي أُعطاه كاهن الإله أبوللو في هذا الأمر، والذي يتكلم عنه كلسوس. إن الجواب هكذا: "إن مطاحن الآلهة تطحن ببطء"[٢٢]. وآخر يُوصف العقاب بأنه يصل "إلى أبناء الأبناء ومن يأتي بعدهم". فكم تكون كلمات الكتاب (المقدس) أفضل: **"لا يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الأَوْلاَدِ، وَلاَ يُقْتَلُ الأَوْلاَدُ عَنِ الآبَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيَّتِهِ يُقْتَلُ."**[٢٣] وأيضاً: **"بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ يَمُوتُ**

---

[21] Origen, *Against Celsus Book VIII*, ANF04, XLI.

[٢٢] قال بلوتارخ Plutarch الفيلسوف وكاهن الإله أبوللو: "مطاحن الآلهة تطحن ببطء، ولكنها تطحن للدقيق" بمعنى أن الآلهة تحطم وتسحق ببطء، ويمكن أن تصبر، ولكن حين ينتهي عملها فإن الناتج يكون دقيقاً مسحوقاً بالتمام.
Plutarch, De Sera Numinis Vindicta, 3

[٢٣] تث ٢٤: ١٦

بِذَنْبِهِ. كُلُّ إِنْسَانٍ يَأْكُلُ الْحِصْرِمَ تَضْرَسُ أَسْنَانُهُ."[٢٤] وأيضاً: **"اَلابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ."**[٢٥] وإن قال أحد هذا الجواب: {إن جملة "إلى أبناء الأبناء ومن يأتي بعدهم" (التي قالها أحد الفلاسفة) تتوافق مع تلك القطعة: "أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ"[٢٦]}، فدعه يتعلم من حزقيال أن هذه اللغة لا تؤخَذ بشكل حرفي، لأنه يوبخ القائلين: "الآبَاءُ أَكَلُوا الْحِصْرِمَ وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ؟[٢٧] وأيضاً يُضيف: " حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ... اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ."[٢٨]

العلامة أوريجانوس في تفسير سفر الخروج[٢٩]

"لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ". هوذا لطف الله وهو يتظاهر بضعف المزاج البشري حتى يُعلّمنا ويجعلنا كاملين. لأنه مَن لا يُصدَم فوراً -

---

[٢٤] إر ٣١: ٣٠
[٢٥] حز ١٨: ٢٠
[٢٦] خر ٢٠: ٥
[٢٧] حز ١٨: ٢
[٢٨] حز ١٨: ٣ و٤

[29] Origen, *Homilies on Genesis and Exodus,* Fathers of The Church, V.71. Homily VIII.

عندما يسمع عبارة "إله غيور" – ويُفكر في خلل الضعف البشري؟ ولكن الله يفعل ويسمح بكل الأمور من أجلنا. فإن الأمر هكذا حتى يمكن أن نتعلم أنه يُخاطب الميول المعروفة والمعتادة لنا. لنرى إذاً ما تعني عبارة: "أنا إله غيور".

وهذه الأمور الإلهية يمكن تأملها بأكثر سهولة، إذا وضّحنا بأمثلة بشرية كما فعلنا سابقاً. فالمرأة إما أن تكون تحت (رعاية) زوج وقوانينه، أو أن تكون زانية وتستخدم حريتها في الخطية[٣٠]. لذلك فإن من يزور الزانية يعرف أنه يزور امرأة تبيع الهوى ومُتاحة لكل من يريد. وهكذا لا يقدر أن يغضب لو رأى محبين آخرين معها. ولكن ذلك الذي يسلك في الزواج الشرعي لا يسمح لزوجته أن تستخدم قدرتها للزنى، ولكنه يشتعل بالغيرة ليحافظ على نقاوة زيجته والتي ستجعله أباً شرعي.

بهذا المثال إذا، لنفهم أن كل نفس قد زنت (سقطت في الخطية) مع الشياطين، ولديها الكثير من الأحبة، حتى أن روح الزنى يدخل الآن إليها، وعندما يفارقها، يدخل روح الجشع والاكتناز، وبعده يأتي روح

[٣٠] يضرب العلامة أرويجانوس مثالاً على عاطفة الرجل، وبالتأكيد لا يقصد أن المرأة إما أن تكون متزوجة أو زانية.

الكبرياء، ثم الغضب، ثم الحسد والغيرة، وحتى بعد ذلك روح المجد الباطل وكثيرون أُخر. فيزني كل هؤلاء الأرواح مع النفس غير الأمينة. ولا يحسد الواحد (من الأرواح) الآخر لأنهم يتبادلون بغيرةٍ. ولماذا أقول بأن الواحد (من الأرواح) لا يستبعد الآخر؟ على العكس فإنهم يستدعون بعضهم البعض وبحريةٍ ينادي الواحد الآخر، مثلما تكلمت سابقاً عما كُتب في البشارة بخصوص الروح الذي متى خرج من الإنسان، يعود ويحضر معه سبعة أرواح أُخر أشر منه[٣١] فيعيشوا في النفس الواحدة في نفس الوقت. وهكذا فإن النفس التي زنت مع الشياطين لا تختبر أي غيرة بين محبيها.

ولكن إذا اتحدت النفس مع زوج شرعي، ذلك الزوج الذي وحَّدَ ووَصَّلَ به بولس نفوساً في زيجةٍ كما قال هو أيضاً بنفسه: "لأَنِّي خَطَبْتُكُمْ لِرَجُل وَاحِدٍ، لأُقَدِّمَ عَذْرَاءَ عَفِيفَةً لِلْمَسِيحِ."[٣٢] نفس الأمر وجهتنا له البشائر: "إِنْسَانًا مَلِكًا صَنَعَ عُرْسًا لابْنِهِ"[٣٣]. وهكذا فإن النفس حينما تعطي ذاتها في زيجةٍ مع هذا الرجل وتقبل الزواج الشرعي

---

[٣١] راجع لو ١١: ٢٤ -٢٦

[٣٢] ٢ كو ١١: ٢

[٣٣] مت ٢٢: ٢

معه، فحتى لو كانت تلك النفس خاطئة في زمنٍ ما، وحتى لو كانت زانية، ومع كل هذا لو أعطت النفس ذاتها إلى ذلك الزوج، فإنها لا تسمح بأي خطية بعد. فلا يمكن احتمال نفساً تلاعب الزناة بعد أن قبلت زوجاً. فغيرة الزوج تحاصرها، وهو يدافع عن نقاء زواجه. وهكذا فقد قيل عن الله أنه غيور لأنه لا يترك النفس المرتبطة به بأن تختلط بالشياطين. وعلى جانبٍ آخر، فلو رأى (الله) النفسَ تخترق حقوق الزواج وتسعى لفُرصٍ حتى تخطئ، فحينئذٍ، كما هو مكتوب، يعطيها "كتاب طلاق" ويبعدها قائلاً: "أَيْنَ كِتَابُ طَلاَقِ أُمِّكُمُ الَّتِي طَلَّقْتُهَا؟"[٣٤] فإن ذلك الذي يقول هذه الأمور غيور، ولأنه يتحرك بالغيرة يقول هذه الأمور. لأنه لا يريدنا أن نتمادى في الخطية بعد أن أدركنا، بعد استنارة الكلمة الإلهية، بعد نعمة المعمودية، بعد الاعتراف بالإيمان، وبعد الارتباط في زيجةٍ تم تثبيتها بأسرارٍ عظيمة. فإنه لا يسمح للنفس التي دُعي لها خطيباً أو عريساً بأن تلعب مع الشياطين، وأن تزني مع الأرواح النجسة، وأن تتمرغ في الرذائل والدنس. ولكن حتى

[٣٤] إش ٥٠: ١

لو حدث هذا للأسف، فإنه يريد، على الأقل، أن النفس ترجع وتعود وتتوب.

لأن هذا نوع جديد من صلاحه، أنه حتى بعد الزنى، فإنه، بالرغم من ذلك، يستقبل النفس التي تعود وتتوب من القلب كما قال أيضاً بالنبي: "لو أن امرأة تركت زوجها ونامت مع رجل آخر، هل تعود إلى زوجها؟ ألا تكون قد تنجست؟ ولكنكِ زَنيتِ مع رعاتك الكثيرين ورجعتِ إلي."[٣٥] ويقول نفس الأمر في مكان آخر: "وبعد أن زَنيتِ مع كل هؤلاء، قُلتُ: {ارجعي إلي} ولكنكِ لم ترجعي، يقول الرب."[٣٦]

وهكذا هنا، فإن الله غيور: لو طلب وأشتاق أن تلتصق النفس به، لو خلصها من الخطية، ولو وبخ، لو عاقب، لو أحزن، لو غَضِبَ، وكأن هناك غيرة معينة تجاهكَ، فافهم أن هناك رجاء في الخلاص لكَ. ولكن إذا لم تعالج حواسكَ بعد أن عُوقبتَ، ولو لم تنصلح بعد أن وُبختَ، لو استهزأت بعد أن ضُربتَ، فاعلم أنه لو استمريت في الخطية، ستفارقك غيرته، وما قيل لأورشليم بالنبي حزقيال سيُقال

[٣٥] راجع إر ٣: ١
[٣٦] راجع إر ٣: ٦ و٧

لك: "فَتَنْصَرِفُ غَيْرَتِي عَنْكِ، فَأَسْكُنُ وَلاَ أَغْضَبُ بَعْدُ."[٣٧] هوذا رحمة وتقوى الله الصالح.[٣٨] فحين يريد أن يكون رحيماً، يقول أنه غير مسرور وغاضب، كما قال بإرميا: "ستعاقبين يا أورشليم بالوجع والمرض، لئلا يفارقك روحي."[٣٩] إذا تأملت هذه الكلمات، فإنها صوت الله المملوء بالتعاطف وهو غاضب، وهو غيور، وهو يُحضِر الأوجاع والضربات. لأنه "يَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ"[٤٠] وبالرغم من ذلك، أتريد أن تسمع صوت الله الرهيب عندما يغضب؟ اسمع ما يقوله بالنبي. فعندما عدّد الأمور المقيتة الكثيرة التي صنعها الشعب، قال هذه الكلمات أيضاً: "لاَ أُعَاقِبُ بَنَاتِكُمْ لأَنَّهُنَّ يَزْنِينَ، وَلاَ كَنَّاتِكُمْ لأَنَّهُنَّ يَفْسِقْنَ."[٤١] هذا مُرعب! هذه هي النهاية، حينما لا نؤدَب ثانيةً على الخطايا، حين نُذنب ولا نُصلَح مرة أخرى. من أجل هذا، فحينما نتمادى في حجم خطايانا، فإن "الله الغيور" يُحوّل غيرته بعيداً عنا، كما قال سابقاً: "فَتَنْصَرِفُ غَيْرَتِي عَنْكِ، فَأَسْكُنُ وَلاَ أَغْضَبُ بَعْدُ." قُلتُ هذه الأمور عن جملة "الله غيور".

---

[٣٧] حز ١٦: ٤٢

[38] Behold the mercy and piety of the good God

[٣٩] راجع إر ٦: ٧ و٨

[٤٠] عبرانيين ١٢: ٦

[٤١] هوشع ٤: ١٤

والآن لنرى ما يليها، كيف أن ذنوب الآباء سوف يُثأر لها في الجيل الثالث والرابع. لأن الهراطقة معتادون أن يسخروا منا بهذه الكلمات لأنهم ينادون إنها ليست كلمات إله صالح، يقول بأن الواحد يُمكن معاقبته على خطايا آخر. ولكن طبقاً لمنطق هؤلاء الذين يقولون إن إله القانون (العدل) الذي يأمر بهذه الأمور- بالرغم من عدم كونه صالح- إلا أنه عادل؛ ولكنهم لا يستطيعون بالحقيقة إظهار -طبقاً لمنطقهم- كيف يمكن أن يكون (الله) متفق مع العدالة لو أن الواحد يُعاقَب بسبب خطية الآخر. وهكذا يبقى لنا أن نصلي لكي يكشف لنا الرب كيف أن هذه المبادئ تتفق مع إله صالح وعادل.

كثيراً ما قلنا بالفعل أن الأسفار الإلهية لا تقول كل الأمور إلى الإنسان الخارجي، ولكن الكثير من الأمور قد قيلت إلى الإنسان الداخلي. وهكذا فإن إنساننا الداخلي إما أن يكون الله له كأب، لو عاش بحسب الله وصنع تلك الأمور التي من الله؛ أو الشيطان (كأب)، لو عاش في الخطية وصنع مشيئاته. المُخَلِّص يُظهر هذا جلياً في البشائر حين يقول: "أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ

فِيهِ حَقٌّ."[٤٢] لذلك فإن بذرة (زرع) الله تبقى فينا عندما لا نخطئ، حافظين كلمة الله فينا؛ كما يقول يوحنا: "كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ لاَ يَفْعَلُ خَطِيَّةً، لأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ."[٤٣] وأيضاً حينما يتم إغرائنا عن طريق الشيطان لنخطئ، نتلقى بذرته (زرع الشيطان). ثم إذا أكملنا العمل الذي حثنا إليه (الشيطان)، فهكذا نكون قد وُلدنا منه؛ لأننا نولد منه كأبناء عن طريق الخطية. ونادراً ما نخطئ بدون مساعدين في الخطية. فمثلاً لو أن واحداً زنى، لا يستطيع أن يرتكب ذلك وحده، يجب أن يكون هناك أيضاً شريك في الزنى ومرافق في الخطية. وحتى لو لم يكن هناك كثيرين، ولكن من المفترض أن يكون هناك رجل أو امرأة في الخدمة أو الشراكة للخطية.[٤٤] كل هؤلاء مولودين، كما حدث مع الأول، واحداً تلو الآخر تبعاً لترتيب الإغراء، مولودين في الخطية من أبيهم الشيطان. ولكي نأتي لهذه الأمور المكتوبة، فإن إله المجد يسوع المسيح مخلصنا قد صُلِبَ. ومؤلف هذه الجريمة هو الشيطان لأنه مكتوب: "عندما دخل الشيطان في قلب يهوذا

---

[٤٢] يو ٨: ٤٤

[٤٣] ١ يو٣: ٩

[٤٤] يقصد أنه غالباً ما يكون هناك من يُسهّل طريق الخطية أو يشارك فيها.

الإسخريوطي المزمع أن يخونه."[٤٥] فالشيطان إذا هو أبو الخطية، وقد وَلَدَ يهوذا كابنه البكر في هذا الشر، ولكن يهوذا وحده لم يكن ليقدر أن ينفذ ذلك. فماذا كُتِبَ؟ يقول الكتاب: "فذهب يهوذا إلى الكتبة والفريسيين وقال لهم: «مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُعْطُونِي وَأَنَا أُسَلِّمُهُ إِلَيْكُمْ؟»"[٤٦] وهكذا، فإن الجيل الثالث والرابع للخطية قد وُلدوا من يهوذا. وستستطيع أن تتعقب هذا الترتيب في بعض الخطايا الفردية.

ولذلك الآن، لنرى طبقاً لما أسميناه جيلاً، كيف ينتقم الله من ذنوب الآباء في الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع، ولا يجازي الآباء أنفسهم، لأنه لم يقل أي أمر حول الآباء. الشياطين إذاً، الذين تخطوا مقدار الخطية، كما يقول النبي: "كلباس يبس من الدماء غير طاهر"[٤٧] كذلك أيضاً لا يصبحوا طاهرين في هذا الدهر، ولا يُوبخوا على خطية ولا يُنتهروا، لأن كل هذه الأمور حُفظت لهم في المستقبل. وهكذا أيضاً، بما أنهم عَلِموا أن وقت العقاب قد رُسِمَ لهم، قالوا للمخلص:

---

[٤٥] راجع لو ٢٢: ٣، ويو ١٣: ٢
[٤٦] متى ٢٦: ١٤ و١٥
[٤٧] راجع إش ١٤: ١٩

"لماذا جِئْتَ قَبْلَ الْوَقْتِ لِتُعَذِّبَنَا؟"[٤٨] لذلك فبينما هذا العالم مازال قائماً، فالشيطان، أب الخطاة، لا يتلقى (عقاباً عن) خطاياه، إن الخطايا يُنتقم لها في المقابل من أبناءه، الذين ولدهم عن طريق الخطية. لأن البشر الذين في الجسد يُنتهرون، يُضربون، ويُؤدبون بواسطة الرب. لأن "الرب لاَ يسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ، بَلْ بِأَنْ يَرْجعَ الشِّرِّيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا."[٤٩] ولأن الرب حنون ورحيم، فإنه ينتقم لذنوب الآباء في الأبناء، وبما أن الآباء، الذين هم إبليس وملائكته، وولاة العالم وحُكام الظلمة [٥٠]-لأن كل هؤلاء قد جُعلوا آباء مثل إبليس- هم غير مستحقين للتوبيخ في الدهر الحالي، ولكنهم سيحصلون على ما يستحقون في المستقبل، فإن أبنائهم، هؤلاء الذين أقنعهم الشياطين بالخطية والذين استقبلهم الشياطين في رابطة وشراكة الخطية، فإنهم يحصدون نتيجة أفعالهم، لعلهم يتنقوا للدهر الآتي، ولا يكونوا شركاء إبليس في العقوبة. ولأن الله رحيم، ويريد أن الجميع يخلصون، فإنه يقول: " أَفْتَقِدُ بِعَصًا مَعْصِيَتَهُمْ، وَبِضَرَبَاتٍ إِثْمَهُمْ. أَمَّا رَحْمَتِي فَلاَ أَنْزِعُهَا

[٤٨] راجع متى ٨: ٢٩
[٤٩] راجع جزقيال ٣٣: ١١
[٥٠] كل هذه أسماء عن الشياطين، راجع متى ٢٥: ٤١ وأف ٦: ١٢.

عَنْهُ"[٥١] فلهذا يفتقد الرب ويسعى وراء النفوس التي ولدها الأب المتمادي في الشر عن طريق إغراءها بالخطية، ويقول لكل واحدة: "اِسْمَعِي يَا بِنْتُ وَانْظُرِي، وَأَمِيلِي أُذُنَكِ، وَانْسَيْ شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ،"[٥٢] فهو يزوركَ بعد الخطية ويجعلكَ تضطرب ويفتقدكَ بسوط وقضيب للخطية التي عرّضك إليها أبوك الشيطان، حتى ينتقم من هذه الخطية في حضنك، أي بينما تكملها في الجسد. وهكذا يَكمُل الانتقام من ذنوب الآباء في حضن الأبناء في الجيل الثالث والرابع.

لأن الله غيور ولا يشاء للنفس التي خطبها له في الإيمان أن تبقى في نجاسة الخطية، ولكنه يريدها أن تتنقى فوراً، يريدها أن تَطرِد بسرعة كل أمورها الدنسة لو حدث وخُطفت بالصدفة لبعض منها. أما إذا استمرت النفس في الخطية وقالت: "لن نسمع لصوت الرب، ولكننا سنفعل ما نشاء وسنحرق بخوراً إلى ملكة السماء"[٥٣]، فهذه الممارسة استنكرها النبي، ثم استحقت قضاء الحكمة: " لأَنِّي دَعَوْتُ فَأَبَيْتُمْ ...

---

[٥١] مز ٨٩: ٣٢ و٣٣

[٥٢] مز ٤٥: ١٠

[٥٣] راجع إر ٧: ١٨

فَأَنَا أَيْضًا أَضْحَكُ عِنْدَ بَلِيَّتِكُمْ."[٥٤] أو ذاك القضاء الذي وُضِعَ في البشارة حينما قال الرب: "إِذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ"[٥٥]

أنا أختار أن الله يفتقد ذنوبي بينما لازلت في هذا العالم، وأن يصلح من تعدياتي هنا، حتى أن إبراهيم يقول عني كما قال للغني عن لعازر الفقير: "يَا ابْنِي، اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ، وَكَذلِكَ لِعَازَرُ الْبَلاَيَا. وَالآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ."[٥٦] لأجل هذا السبب، فعندما نُوبَخ، وعندما نُعاقَب بواسطة الرب، فلا يصح ألا نكون ممتنين. لنفهم أننا نُوبَخ في هذا الدهر لكي ننال راحة في الآتي، كما يقول الرسول أيضاً: "وَلكِنْ إِذْ قَدْ حُكِمَ عَلَيْنَا، نُؤَدَّبُ مِنَ الرَّبِّ لِكَيْ لاَ نُدَانَ مَعَ الْعَالَمِ"[٥٧] فإنه لأجل هذا السبب قال أيوب البار أيضاً وهو راضي

[٥٤] أمثال ١: ٢٤ و٢٦
[٥٥] متى ٢٥: ٤١
[٥٦] لو ١٦: ٢٥
[٥٧] ١ كو ١١: ٣٢

بإرادته على كل آلامه: " أَالْخَيْرَ نَقْبَلُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالشَّرَّ لاَ نَقْبَلُ؟"[٥٨] "الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا"[٥٩]

ولكنه يعود و"يصنع إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيه"[٦٠] لأن هؤلاء الذين يحبونه، لا يحتاجون إلى توبيخ لأنهم لا يخطئون، كما قال الرب: "الذي يحبني، يحفظ وصاياي"[٦١]، ولذلك فإن " الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ."[٦٢] لأجل هذا فإن الرحمة قد عُينَت لأولئك الذين يحبون، لأنه "طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ"[٦٣] في المسيح يسوع ربنا، الذي ينبغي له المجد والعظمة إلى أبد الأبد. آمين.

---

[٥٨] أيوب ٢: ١٠
[٥٩] أيوب ١: ٢١
[٦٠] راجع خر ٢٠: ٦
[٦١] راجع يو ١٤: ٢١
[٦٢] ١ يو ٤: ١٨
[٦٣] متى ٥: ٧

القديس يوحنا ذهبي الفم[٦٤]

"فَسَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، مَنْ أَخْطَأَ: هذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟».[٦٥] سؤال مغلوط، لأنه كيف يمكن أن يخطأ قبل أن يولد؟ وكيف يُعاقَب هو بافتراض أن أبويه هما المخطئان؟ من أين إذا أتوا بهذا السؤال؟ فإنه قبلاً، حينما شَفَى المخلع قال: "هَا أَنْتَ قَدْ بَرِئْتَ فَلاَ تُخْطِئْ أَيْضًا".[٦٦] فلذلك عندما أدركوا أنه أُصيب مخلع نتيجة خطيته، قالوا: "حسناً، فإذا أصيب هذا مُخلعاً نتيجة خطيته، فماذا إذاً عن هذا الرجل، ماذا ستقول؟ هل أخطأ؟ من المُحال أن يُقال هذا، لأنه أعمى منذ مولده، فهل أخطأ أبواه؟" ولا يقدر أحد أن يقول هذا أيضاً، لأن "الابن لا يُعاقَب بسبب أبيه." فإذا رأينا طفلاً مُصاب بِشَرٍ (بمرض أو بوجع) نتساءل، ليس بشكل استفهامي ولكن في حيرة وارتباك: "ماذا يُمكن أن يُقال عن هذا؟ وماذا فعل هذا الطفل؟" هكذا تكلم التلاميذ هنا، ليس بغرض الاستفهام عن معلومة، ولكن بدافع الحيرة. ماذا قال إذا المسيح؟ "لاَ هذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ". لم يقل

---

[64] Chrysostom, *On the Gospel of St. John,* NPNF114, Hom. LVI

[٦٥] يو ٩: ٢

[٦٦] يو ٥: ١٤

هذا لكي يبرئهم من الخطايا، لأنه لم يقل ببساطة: "لا هذا أخطأ ولا أبواه" فقط، بل أضاف أن هذا كان يجب أن يولد أعمى ليتمجد ابن الله فيه.[٦٧] (وكأن المسيح يقول) "لأن هذا الإنسان وأبواه أخطئوا، ولكن ليس هذا هو سبب العَمَى." ولم يقل هذا لكي يشير أنه بالرغم من أن هذا لم يولد أعمى بسبب هذا الأمر (خطية الوالدين) إلا أن البعض الآخر قد خُلِقوا عمياناً بسبب هذا الأمر؛ خطية أبويهم، لأنه لا يصلح أن يخطئ واحد والآخر يُعاقَب.[٦٨] لأنه لو سمح لذلك، فسنسمح (بالظن) بأنه قد أخطأ قبل ولادته.[٦٩] وهكذا فإنه حينما أعلن أنه "لا هذا أخطأ"، لم يقل أن هذا مُستطاع بأن يُخطئ الإنسان قبل أن يولَد، (بل) ويُعاقَب على ذلك. وهكذا فإنه حينما قال: "ولا أبواه"، فإنه لم يقل إن الواحد يُمكن أن يُعاقَب لأجل والديه. ينزع (الرب) هذا الافتراض بواسطة فم حزقيال: "حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ

---

[٦٧] اقتباس بتصرف من " لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللهِ فِيهِ." (يو ٩: ٣)

[٦٨] بمعنى أن المسيح لم يَخُص هذا المولود أعمى بهذه الجملة، فلا يصح أبداً أن نظن أن أي مولود أعمى، أو أي طفل مولود بمرض، أنه وُلِدَ هكذا نتيجة خطية أهله.

[٦٩] بمعنى أنه إن ظن إنسان أن التلاميذ يُفكرون حرفياً بأن هذا المرض هو نتيجة خطية الوالدين، فسيظن إذاً أن التلاميذ يُفكرون حرفياً بأن هذا الشخص يمكن أن يكون قد أخطأ قبل أن يولد. فبهذه العبارة يؤكد القديس يوحنا ذهبي الفم أن التلاميذ سألوا هذا السؤال متخبطين ومتحيرين من سبب المرض، ولم يسألوه بشكل استفهامي بحت.

الرَّبُّ، لاَ يَكُونُ لَكُمْ مِنْ بَعْدُ أَنْ تَضْرِبُوا هذَا الْمَثَلَ: الآبَاءُ أَكَلُوا الْحِصْرِمَ وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ"[٧٠] ويقول موسى: "لاَ يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الأَوْلاَدِ، وَلاَ يُقْتَلُ الأَوْلاَدُ عَنِ الآبَاءِ."[٧١] وهكذا قالت الكتب عن ملك مُعيَن لأجل هذا السبب لم يفعل هذا الأمر مُطيعاً لشريعة موسى.[٧٢] ولكن إذا جادل أحدهم: "فكيف إذاً قيل: [مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ]؟" سنجيب بهذا، بأن هذا الدافع هنا ليس شامل[٧٣]، ولكن هذا هو ما قيل لأولئك الخاصة الخارجين من مصر. وهي تعني ما يلي: "لأن هؤلاء الذين خرجوا من مصر، وبعد الآيات والأعاجيب، أصبحوا أسوأ من أجدادهم الذين لم يروا شيئاً من هذه الأمور، فإنهم سيُعانون مثل ما عاناه أولئك، لأنهم تجرأوا وفعلوا نفس الجرائم."

---

[٧٠] حز ١٨: ٣، ٢

[٧١] تث ٢٤: ١٦

[٧٢] يقصد الملك أمصيا بن يوآش حيث يقول عنه الكتاب: " وَلكِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ أَبْنَاءَ الْقَاتِلِينَ حَسَبَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ شَرِيعَةِ مُوسَى، حَيْثُ أَمَرَ الرَّبُّ قَائِلًا: «لاَ يُقْتَلُ الآبَاءُ مِنْ أَجْلِ الْبَنِينَ، وَالْبَنُونَ لاَ يُقْتَلُونَ مِنْ أَجْلِ الآبَاءِ. إِنَّمَا كُلُّ إِنْسَانٍ يُقْتَلُ بِخَطِيَّتِهِ». (٢مل ١٤: ٦)

[73] Universal

القديس جيروم[٧٤]

ولكنه يقول: "إِنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ، بَلْ بِأَنْ يَرْجِعَ الشِّرِّيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا."[٧٥] وأيضاً "لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ، بَلِ الْمَرْضَى"[٧٦]. حتى بعد خطيته، أمد يدي للخاطئ المنبطح وأشجعه، وهو مازال مُلوَث بدمه[٧٧]، لكي يغسل لطخاته بدموع التوبة. ولكن لو بعد كل ذلك أظهر نفسه غير راغب في التوبة؛ وحتى بعد أن عانى من تحطم سفينته، ويرفض التشبث باللوح الخشبي الوحيد القادر على إنقاذه، فإني مدفوع (مُجبَر) أن أقول أخيراً: "هكذا قال الرب، من أجل ذنوبه الثلاثة والأربعة ألا أبتعد عنه؟"[٧٨] لأن الرب يعتبر هذا الابتعاد عقاباً، بقدر ما يُترَك الخاطئ لمكائده. وهكذا فإنه يفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع، فهو لا يُعاقب هؤلاء الخاطئين فوراً، ولكن يعطي العُذر في بداية إساءاتهم ويَحكُم على الأخيرة منها. فإنه لو كان غير ذلك؛ لو كان الله متأهباً كمنتقم في لحظة

---

[74] Jerome, *The principle Works,* NPNF 206, Letter CXLVII.

[٧٥] حز ٣٣: ١١

[٧٦] لو ٥: ٣١

[٧٧] راجع حز ١٦: ٦

[٧٨] راجع عاموس ١

الخطية، لخسرت الكنيسة العديد من قديسيها؛ وبالتأكيد كانت ستُحرَم من الرسول بولس.

القديس أغسطينوس[٧٩]

وقد قيل، بكثير من الاحتمالية، أن الأبناء متورطون في ذنب الخطايا، ليست فقط الخاصة بالأولين (آدم وحواء)، ولكن أيضاً الخاصة بالوالدين المباشرين (الأب والأم). لأن القضاء الإلهي "أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ" ينطبق بالتأكيد عليهم قبل أن يأتوا تحت العهد الجديد بالتجديد (بالمعمودية). وهذا العهد الجديد هو الذي تم التنبؤ عنه حين قيل بحزقيال: " اَلابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ" ولا يجب أن يُقال هذا المثل: "الآبَاءُ أَكَلُوا الْحِصْرِمَ وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ؟" بعد الآن في إسرائيل. هنا تقع الأهمية بأن يولد كل إنسان من جديد، وأن يتحرر من الخطية التي وُلِدَ فيها. لأن الخطايا التي تُقتَرَف بعد ذلك يمكن علاجها بالتوبة، كما نرى الحال من بعد المعمودية. وهكذا فإن الميلاد الجديد لم يُعَيَن فقط لأن الميلاد الأول كان مملوء بالخطية، بل لإنه كان

[79] Augustine, The Enchridion, NPNF 103 Ch. 46 & 47.

مملوء بالخطية جداً لدرجة أن المولود من زواج شرعي يقول: "هأَنَذَا *بِالآثَامِ صُوِّرْتُ، وَبِالْخَطَايَا حَبِلَتْ بِي أُمِّي*."[٨٠] لم يقل "بالإثم" أو "بالخطية"، بالرغم من أنه لو قالها هكذا فهي صحيحة، ولكنه فضّل أن يقول "الآثام" و"الخطايا" لأنه في (داخل) هذه الخطية الواحدة التي اجتازت كل البشر- والتي كانت عظيمة جداً حتى أن الطبيعة البشرية تعرضت للموت المحتوم بسببها – خطايا كثيرة يمكن تمييزها كما أظهرت سابقاً[٨١]. وبالإضافة إلى ذلك، فهناك الخطايا الأخرى التي للوالدين المباشرين (الأب والأم)، وبالرغم من أنه ليس لها نفس التأثير في احداث تغير في الطبيعة، إلا أنها تُعرّض الأبناء إلى ذنبٍ، إلا إذا تدخلت النعمة والرحمة الإلهية لإنقاذهم.

---

[٨٠] مز ٥١: ٥. الترجمة اليونانية واللاتينية لهذا المزمور تذكر "الآثام" و"الخطايا" في صيغة الجمع، على عكس اللغة العبرية -اللغة الأصلية للمزامير- وكذلك الترجمة العربية البيروتية (المنتشرة بين أيدينا) والإنجليزية King James حيث تُورَد الألفاظ "الإثم" و"الخطية" في صيغة المفرد. وبالتالي فاللغة الأصلية للمزامير تشير إلى أن فهم القديس أغسطينوس مغلوط في هذا الأمر.

[٨١] في الفصل السابق في كتاب Enchridion للقديس أغسطينوس، يذكر أن الخطية الواحدة التي اقترفها آدم يمكن تحليلها لعدة عناصر. فهناك الكبرياء والتجديف لأنه لم يؤمن بكلام الله، والقتل لأنه أدخل الموت إلى العالم، والزنا الروحي لأنه سار وراء الحية، والسرقة لأنه أخذ ما لا يحل له، والجشع لأنه اشتهى أكثر مما يكفيه، وهكذا كل نوع من الخطايا يمكن أن نجده داخل خطية آدم.

أما بخصوص خطايا بقية الأسلاف الذين توسطوا آدم والوالدين المباشرين، فالتساؤل قائم بشدة إذا ما كان يتورط كل مولود في كل الأفعال الشريرة المتراكمة في الخطية الأصلية متضاعفة (عبر كل الأجداد)، وهكذا يولد الأخير في حالة هي الأسوأ؛ أو ما إذا كان الله يهدد أن يفتقد ذنوب الآباء في الأبناء للجيل الثالث والرابع، لأنه في رحمته، لا يُطيل سخطه ضد خطايا الأسلاف أكثر من ذلك، لئلا يُسحَق أولئك الذين لا ينالون نعمة التجديد تحت حِملٍ ثقيلٍ لو أنهم أُجبَروا على تحمل -بالإضافة للخطية الأصلية – كل خطايا الأسلاف منذ بداية الجنس البشري، وأن يدفعوا الجزاء الواجب عليها كلها؛ أو ما إذا كان هناك جواباً آخر لهذا السؤال العظيم يمكن أو لا يمكن أن يوجد في الكتاب المقدس (يأتي) عن طريق بحث مجتهد وفهم أكثر حرص، فأنا لا أجرؤ أن أؤكد بتسرع.

صدر من سلسلة إيمان الكنيسة حول آية

١. صَانِعُ السَّلاَمِ وَخَالِقُ الشَّرِّ.
٢. وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ.
٣. إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟
٤. أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الجيل الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ

والمجد لله على كل شيء